

كيف يحتفل الفقراء بالعيد؟¹

في مستهل هذا المقال أقدم خالص تهانينا القلبية لجميع أخوتنا وأحبيائنا وأصدقائنا المسلمين في مصر وفي أرجاء العالم العربي والعالم الإسلامي، جعله الله عيّداً مباركاً سعيداً، وحقق فيه آمال الشعوب...

إننا نرى علامات الاحتفال بالعيد ومظاهر ذلك في كل مكان. ولعل في مقدمة ذلك ما تقوم به وسائل الإعلام من مظاهر وأخبار الفرح بالعيد: سواء ما تقدمه الإذاعة والتليفزيون، وما تقدمه الحرائد وال محلات، من مقالات وأخبار. وما قدمه رجال الفن خلال شهر رمضان من مسلسلات بذلوا فيها كل جهدهم لإفراح الناس. ولا ننسى المجهودات التي بذلتها عدة وزارات كالتجارة والتموين والمالية وغيرها لتوفير المواد التي يحتاج إليها الناس، وأعني القادرين على شرائها... وقد احتفل رجال الدين بالعيد ببرامجهم الدينية الخاصة... واحتفلت هيئات كثيرة في أيام عطلات كل ذلك فرحاً بالعيد.

ووسط كل ذلك يبرز هذا السؤال الهام: كيف يحتفل الفقراء بالعيد أو كيف يفرح الفقراء بالعيد؟ والقراء على درجات: نذكر من بينها المعدمين، والمعوزين، والذين ليس بمقدرتهم استيفاء احتياجات الحياة الأساسية والضرورية... كيف يفرح هؤلاء بالعيد؟ وكيف يكون العيد بالنسبة لهم أيامًا غير عادية من البهجة والمرة؟ وإن حاولت الدولة بمجهودات كثيرة أن توفر الطعام في أيام العيد لمن يقدر على شرائها، ماذا نقول إذن عما يريده أطفال هؤلاء الفقراء من ملابس جديدة في العيد تكون مظهراً لفرحهم، وأيضاً ما يريدونه من لعب لا تكتمل فرحة العيد بدونها؟!.. أم سينظر كل هؤلاء إلى الأغنياء في متعمهم وترفيهاتهم، مقارنين بين حالهم هم وحال أولئك.

إنني اقترح صرف علاوات مالية معينة في مناسبة كل من الأعياد الكبيرة عند المسلمين أو المسيحيين لكي تغطي نفقات أعيادهم ولا تشعرهم بجو من العوز في أعيادهم أو بلون من المقارنة بينهم وبين المترفهين... كما أرجو أن تتمد يد المحبة من الآثرياء لكي تبعث روح الفرح في هؤلاء المعوزين، على الأقل في أيام الأعياد. ولا يكتفي الأمر على موائد الرحمن في أيام الصوم. فرحمة الله تشمل كل الأيام، الأصوم والأعياد. والرحمة لا يكفيها لقمة طعام لكي تريح الضمير بها. فاحتياجات الإنسان من الرحمة تشمل أموراً عديدة جدًا.

إن الاهتمام بالفقراء وأطفالهم في أيام الأعياد إنما هو عمل روحي، وعمل وطني، وعمل اجتماعي... لا يفوتنا ذلك كمواطنين وكأخوة... ويمتد بنا إلى حالة كل هؤلاء في غير أيام الأعياد أيضًا. ويتعمق بنا الأمر فلا نقول كيف يحتفل الفقراء بالعيد، إنما نقول بالأكثر كيف يفرح هؤلاء الفقراء بالعيد؟ وما هو واجب الدولة حيالهم؟ وواجب الهيئات والأفراد؟

وإن كنا نناقش ما يجب أن يُعمل من أجلهم، فبالأكثـر ما أشد دينونـة وعقـاب الذين بدـلـاً من إرـاحـة الفـقـراء نـجـدهـم يـحـتـكـرونـ الأـسـوـاقـ، وـبـالـغـوـنـ فـي رـفـعـ الأـسـعـارـ، فـيـتـحـمـلـ الفـقـراءـ ثـقـلاً فـوـقـ ثـقـلـ، بـسـبـبـ جـشـعـ إـخـوـةـ لـهـمـ فـيـ الـمـوـاـطـنـةـ!!

وإن كـناـ نـقـولـ كـلـ هـذـاـ بـمـنـاسـبـةـ عـيـدـ الـفـطـرـ الـذـيـ تـحـتـفـلـ بـهـ بـلـادـنـاـ، فـهـنـاكـ أـعـيـادـ أـخـرـىـ أـيـضـاـ تـمـرـ عـلـىـ الـفـقـراءـ وـنـسـأـلـ كـيـفـ يـحـتـفـلـوـنـ بـهـاـ أـوـ كـيـفـ يـفـرـحـوـنـ فـيـهـاـ؟ـ وـبـيـقـىـ السـؤـالـ مـحـتـاجـاـ إـلـىـ جـوـابـ...ـ إـنـ كـانـتـ الـحـيـاـةـ الـعـادـيـةـ لـاـ يـقـدـرـوـنـ عـلـيـهـاـ، فـكـمـ بـالـأـولـىـ أـيـامـ الـاحـتـفـالـاتـ؟ـ إـنـ الـأـمـرـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـوـفـيقـ عـمـيقـ بـيـنـ مـتـطـلـبـاتـ الـحـيـاـةـ وـسـدـادـ تـكـالـيفـهـاـ.

إـنـ كـانـاـ حـالـيـاـ نـتـحـدـثـ عـنـ مـشـكـلـةـ الـفـقـراءـ الـعـادـيـنـ وـكـيـفـ يـحـتـفـلـوـنـ بـالـعـيـدـ، فـمـاـذـاـ نـقـولـ إـذـنـ عـنـ الـفـقـراءـ الـمـرـضـىـ الـذـيـ عـلـيـهـمـ أـعـبـاءـ ضـخـمـةـ مـنـ تـكـالـيفـ الـمـرـضـ وـالـعـلاـجـ وـارـتـفـاعـ أـسـعـارـ الـأـدـوـيـةـ، وـعـدـمـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ الـصـرـفـ، وـبـخـاصـةـ قـدـ يـحـتـاجـ الـأـمـرـ أـحـيـاـنـاـ إـلـىـ عـمـلـيـاتـ جـراـحـيـةـ فـوـقـ مـقـدـورـ الـشـخـصـ الـعـادـيـ، وـلـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـعـطـيـهـاـ تـأـمـيـنـاتـ مـنـ الـدـوـلـةـ!!!ـ

ما مـوـقـفـ هـؤـلـاءـ الـمـرـضـىـ الـفـقـراءـ سـوـاءـ فـيـ الـأـيـامـ الـعـادـيـةـ أـوـ أـيـامـ الـأـعـيـادـ بـالـأـكـثـرـ؟ـ وـمـاـ مـوـقـفـنـاـ نـحـنـ مـنـهـمـ؟ـ وـهـلـ نـكـتـفـيـ بـمـجـرـدـ كـلـمـةـ طـبـيـةـ نـقـولـهـاـ دـوـنـ أـيـ عـمـلـ؟ـ أـمـ نـكـتـفـيـ بـمـجـرـدـ الـدـعـاءـ وـنـتـرـكـهـمـ إـلـىـ اللـهـ وـهـوـ أـرـحـمـ الرـاـحـمـيـنـ.

إـنـ عـبـارـةـ "ـكـيـفـ يـحـتـفـلـ هـؤـلـاءـ بـالـعـيـدـ"ـ قـدـ تـشـمـلـ كـثـيـرـيـنـ، وـلـيـسـ الـفـقـراءـ فـقـطـ، وـلـاـ الـمـرـضـىــ فـقـطــ.ـ إـنـهـاـ تـشـمـلـ أـيـضـاـ الـمـشـرـدـيـنـ مـنـ أـمـتـالـ أـطـفـالـ الـشـوـارـعـ هـؤـلـاءـ الـذـيـنـ خـلـقـهـمـ اللـهـ لـاـ لـكـيـ يـكـوـنـوـاـ أـوـلـادـاـ لـلـشـوـارـعـ،ـ إـنـمـاـ لـكـيـ يـحـتـضـنـهـمـ الـمـجـتـمـعـ،ـ وـيـعـطـيـهـمـ مـمـاـ أـعـطـاهـ اللـهـ،ـ أـوـ مـاـ يـرـيدـ اللـهـ أـنـ يـعـطـيـهـ لـكـلـ فـرـدـ مـنـ خـلـيقـتـهـ.

وـعـبـارـةـ "ـكـيـفـ يـحـتـفـلـ هـؤـلـاءـ بـالـعـيـدـ"ـ تـشـمـلـ أـيـضـاـ الـذـيـنـ فـيـ السـجـونـ.ـ إـنـ كـانـتـ عـبـارـةـ "ـتـهـذـيـبـ وـإـصـلـاـحـ"ـ تـطـلـقـ عـلـىـ الـسـجـونــ،ـ فـمـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ فـتـرـةـ الـعـيـدـ تـنـالـ بـرـكـةـ مـنـ هـذـهـ الـعـبـارـةـ.

بعـيـدـاـ عـنـ الـهـيـئـاتـ الـكـثـيـرـةـ الـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ نـسـأـلـ عـنـ حـالـتـهـاـ فـيـ يـوـمـ الـعـيـدـ،ـ نـوـدـ أـخـيـرـاـ أـنـ نـسـأـلـ عـنـ مـوـقـفـ الـمـتـرـفـيـنـ فـيـ أـيـامـ الـعـيـدـ،ـ الـذـيـنـ يـنـظـرـوـنـ إـلـىـ أـنـفـسـهـمـ فـقـطـ كـيـفـ يـقـضـوـنـ تـلـكـ الـمـنـاسـبـةـ فـيـ بـهـجـةـ وـفـرـحـ وـفـيـ رـفـاهـيـةـ وـمـتـعـةـ،ـ غـيـرـ نـاظـرـيـنـ إـلـىـ أـخـوـتـهـمـ الـذـيـنـ يـعـيـشـوـنـ مـعـهـمـ فـيـ نـفـسـ الـبـلـدـ كـيـفـ هـمـ.

نـقـولـ هـؤـلـاءـ إـنـ اللـهـ لـمـ يـخـلـقـ الـدـنـيـاـ لـهـمـ وـحـدـهـمـ وـإـنـمـاـ لـهـمـ وـلـغـيـرـهـمـ.ـ إـنـ اللـهـ قـدـ أـعـطـاهـمـ لـكـيـ يـعـطـوـاـ.ـ وـبـقـدـرـ مـاـ هـمـ يـعـطـوـنـ،ـ تـزـدـادـ عـطـيـةـ اللـهـ لـهـمـ بـالـأـكـثـرـ،ـ وـيـفـتـحـ لـهـمـ كـوـىـ السـمـاءـ لـكـيـ تـفـيـضـ عـلـيـهـمـ.ـ فـعـلـيـهـمـ أـنـ يـشـرـكـوـنـ غـيـرـهـمـ فـيـ مـاـ قـدـ رـزـقـهـمـ اللـهـ.ـ بـلـ إـنـ أـحـدـ الـقـدـسـيـنــ قـالـ عـبـارـةـ جـمـيـلـةـ هـيـ:ـ "ـإـذـاـ لـمـ يـكـنـ لـكـ مـاـ تـعـطـيـهـ هـؤـلـاءـ الـفـقـراءــ،ـ فـصـ وـقـدـمـ لـهـمـ طـعـامـكـ"ـ.ـ كـمـ بـالـأـكـثـرـ إـذـنـ إـنـ كـانـ عـنـدـكـ مـاـ يـكـفـيـكـ وـمـاـ يـفـيـضـ عـنـكـ...ـ لـيـتـنـاـ إـذـنـ فـيـ يـوـمـ الـعـيـدـ نـنـظـرـ إـلـىـ غـيـرـنـاـ مـنـ الـمـحـتـاجـيـنـ وـنـشـعـرـ بـفـرـحـ عـمـيقـ حـيـنـمـاـ نـرـاهـمـ يـفـرـحـوـنـ مـعـنـاـ وـلـاـ يـقـضـوـنـ يـوـمـ الـعـيـدـ فـيـ عـوـزـ أـوـ اـحـتـيـاجـ.

1. مقال لقدسية البابا شنوده الثالث نشر في جريدة الأهرام بتاريخ 20-9-2009م